

قلت له إقرأ الصحيحين ، ولا تدع تناقضاً إلاّ أحصيته ، ولا رطانه إلاّ وقفت عندها ملياً . إذ ذاك ستجد ، بغيتك!

ولد في المغرب مدينه (مولاي إدريس) سنه 1967م ، في أسرته مالكيه المذهب لكنه من حيث النسب ينحدر من أصول إسماعيليه نسبة إلى إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق (ع) كاتب قدير له عده مؤلفات وصحافي بارز كتب في العديد من الصحف ، تلقى دراسته الابتدائية والثانويه بالمغرب ثم هاجر الى المشرق ودرس بالحوزه العلميه في الشام بعد تشييعه.

وقع بين يدي كتابين يتحدثان عن فاجعه كربلاء وسيره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ولأول مره أجد كتاباً يحمل لهجه من نوع خاص - مناقضه تماماً لتلك الكتب التي عكفت على قراءتها ، لم أكن أعرف إن صاحب الكتاب رجل شيعي ، لأنني ماكنت أتصور أن الشيعة مسلمون ! فكانت تختلط عندي المسأله الشيعيه بالمسأله البوذييه أو السيخييه ، والوضع السنّي لا يجد حرجاً في أن يملأ علينا ذلك ، إنه كان يكرس هذه النظرة لدى الأفراد ، ولا يصح مغالطاتهم.

وفجأه وجدت نفسي مخدوعاً ، لماذا هؤلاء لا يكشفون الحقائق للناس ، كما هي في الواقع ؟ لماذا يتعمدون إبقاءنا على وعينا السخيف ، تجاه أكبر وأخطر مسأله وجدت في تاريخ المسلمين ؟ ثم لماذا لا يتأثرون بفاجعه الطف العظمى ، تلك التي ماجت في دمي الحار بالإنصاف والتوق إلى العدالة ، فتدفقت بالحسره والرفض والمطالبه بالدم الضائع في منعطفات التاريخ الإسلامي.

كنت - قبل ذلك - ذا ثقافه آحاديه الجانب هي ثقافه أهل السنه والجماعه ، وفجأه وجدتني ملتزماً بخط لا أعرف له أساساً تاريخياً ، وصرت واحداً من الإخوان المناضلين الذين ضاقوا بظلم الواقع ، وأرادوا أن يعيدوا سيناريو العذاب التي جرت وقائعها في السجن الحربي (ليমান طره) في مصر.

في تلك اللحظه غمرتني أدبيات الحركه الإسلاميه ، وأخذت مني مأخذها وتملكني فكر المحنه لدى سيد قطب بكلماته المشعّه أدباً والتي حملت في أحشائها تلك الظلال الوارقه بيّناً وديعاً ، فأبيت ألاّ إن أغزو الظلم قبل أن يغزوني .. ولعلني تعثرت كثيراً بسبب الأدبيات التي عبثت بوعبي الصغير يومئذ ولا أنكر أني كنت من أنصار (الهجره والتكفير) وإنني ما أزال أحفظ ، عن ظهر قلب ترانيل الفريضة الغائيه!

تري ، ماهو هذا الظلم الذي مازلت كل حياتي أشتكي منه وأفرض من خلاله كل الأوهام على نفسي ؟ ، لم أجد جواباً شافياً في ذهني ، سوى ماركز في نفسي من أدبيات حركيه إستلهمتها من كتابات معينه وكلمات جميله لم أجد لها في ثقافتى الجمهوريه نسبة إلى الجمهور بديلاً.

- هذه وحدها الحدث الذي أعاد رسم الخريطه الفكرية والنقيه في ذهني ، إن هذا الظلم الذي أعانى منه ليس جديداً على الأمه ، فلقد سبقه ظلم أكبر ، وعلى أساس هذا الظلم القديم قالت لي أفكارى : إن هؤلاء الظالمين اليوم يسلكون طريقاً أسسه رجالا كانوا يشكلون حجر عثره إمام مسيره الأمه من آل البيت (ع) حتى إذا ورد جيل المحنه حالياً ، فأراد أن ينظم مشروعا لمعارضه الظلم السياسى في الأمه على قاعده الظلم نفسه الذي كان سبباً في التمكين لهؤلاء الظلمه سؤالا غريب ، لكنه واقعى ! ترى تناقضاً رهيباً بين تنزيه ظلمه الماضى وتثوير المجتمع على ظلمه الحاضر .. فما الفرق بين الماضى والحاضر.

كنت كلما طرحته سؤالا على نفسي رأيت شيطانا يعترينى ويقول لى : **دع عنك هذا السؤال ، فهل أنت أعظم من ملايين المسلمين الذين وجدوا قبلك وهل أنت أعلم من هؤلاء الموجودين حتى تحسم في هذه الحاله.**

لقد كبرت في عيني هذه الكثرة الغالبة وصعب على مخالفتها ، لولا أن هداني الله ، بيد أن شيئاً واحداً جعلني أنتصر عليها ولا أبالي ، وهي عندما وجدتها جاهله وتعلمت كيف أخالف المجتمع الجاهلي ، والصمود أمام الأمواج البشرية المتدفقه والتي ليس لها منطق في عالم الحقائق سوى كثرتها.

كنت أطرح دائماً على أصدقائي ، قضية الحسين المظلوم ، وآل البيت (ع) لم اكن أطرح شيئاً آخر ، فإنا ظمآن الى تفسير شاف لهذه المأسى ، لم أكن أتصور ، أننا مسلم في القرن العشرين ، كيف يستطيع هؤلاء السلف الصالح أن يقتلوا آل البيت (ع) تقتيلاً!

إن هذه الفكرة التي إنقذت في ذهني بالطف الإلهي جعلتني أدفع أكبر ثمن في حياتي ، وكلفتني الفقر والهجرة والأذى وما زادني في ذلك إلا إيماناً وإصراراً ، وتذكرت قوله شهيره للإمام علي (ع) لما قال له أحد شيعته : إني أحبك يا أمير المؤمنين فأجابه : إذا ، فأعد للفقر جلباباً ! ، لم تكن عندي يومها المراجع الكافية لإستقصاء المذهب الشيعي لكنني أسندت ذلك القليل الذي أملكه من كتب الشيعة بدراساتي النقدية والمعمقة ، لكتب أهل السنة والجماعة.

من الذي شيعك ، وإي الكتب إعتمدتها ؟ ! ، قلت له : أما بالنسبة ، لمن شيعني ، فإنه ، جدى الحسين (ع) ومأساته الأليمه أما عن الكتب ، فقد شيعني ، صحيح البخارى والصحيح الأخرى ، قال : كيف ذلك ؟ ، قلت له : إقرأها ، ولا تدع تناقضاً إلا أحصيته ، ولا رطانه إلا وقفت عندها ملياً .. إذ ذاك ستجد ، بغيتك!

ويعلم الله ! أنني رسخت قناعاتي الشيعيه ، من خلال مستندات أهل السنة والجماعة أنفسهم ، ومن خلال مارزحت به من تناقضات وكان الكتاب أحياناً يتعرض بالشتم والسباب للشيعة ، وإذا بي أزداد بصيره ببراءتهم.

كنت وقتذاك أبحث عن شيء واحد ، هو إن أتأكد من حقيقة علاقه والتلازم بين الفكر الشيعي ، والأئمة من أهل البيت (ع) وهل هم فعلاً مصدر هذه الأفكار ؟ أو إن الفكر جديد كل الجده ، ولم يكونوا قد تداولوه في عصر الأئمة؟

إنني أدركت بعد ذلك أن الأئمة ، كانوا أكبر من أن يتبعوا غيرهم ، وما ثبت في التاريخ الإسلامى أن تعلم الإمام من أئمة أهل البيت (ع) على يد عاميه ، بل هم كانوا أساتذه لأئمة أهل السنة والجماعة ، الذين مالبتوا أن مالوا وإستكانوا لرغبة الأمراء والخلفاء وسكنوا عن أشياء وضمّموا أخرى وأخضعوا فكر الأمة لعزيره البلاط!

هل ما عليه الشيعة اليوم من عقيدة وعبادات كان جارياً في عصر الأئمة ؟.

بينما أنا أتصفح تفسير ابن كثير ، إذا بي أعثر على تفسير الآية الكريمة: **وإمسحوا برؤوسكم وأرجلكم**، حيث أورد وجهات النظر الفقهي المختلفه بين القائلين بالغسل والقائلين بالمسح إستحصر خطاباً للحجاج بن يوسف الثقفى ، يقول فيه بالغسل ، وكان هو الخطاب الحاسم في تفسير ابن كثير للآية الكريمة.

وأورد قصه ، عن أصحاب زيد بن علي (ر) قال ابن أبي حاتم ، حدثنا : أبى ، حدثنا : إسماعيل بن موسى ، أخبرنا : شريك ، عن يحيى بن الحرث التيمى يعنى الخابر قال : نظرت في قتلى أصحاب زيد فوجدت الكعب فوق ظهر القدم وهذه عقوبه عوقب بها الشيعة بعد قتلهم تنكيلاً بهم في مخالفتهم الحق وإصرارهم عليه ، وهكذا قتلوا في المعركة ومسخت جثثهم ، حيث إنقلبت أكعابهم الى ظهر الرجل.

إن أكبر ! وشهد شاهد من أهلها ، إن هذه الممارسه الفقهيه والعباديه لم تأت من الأهواء اللآحقه ، بل كانت متداوله في عصر الأئمة ، وتحت سمع واحد من قيادات بنى هاشم والمقربين إلى الأئمة ، وهو زيد بن علي بن الحسين رضوان الله عليه فإذا كان زيد وأصحابه مسخوا في تفسير ابن كثير ، فيا تاريخ سجل ، إنني أول الممسوخين! إن هذا ليس هو أول لغم في تراث أهل الجماعة يفجر غضبي ، ففي مقدمه ابن خلدون ، حقيقة أخرى ، يجب الوقوف على وقاحتها ، إذ قال : **وش أهل البيت في مذاهب إبتدعوها ، وفقه إنفردوا به!**

إن هذا يعنى إن المتهم الأول هم آل البيت (ع) الذين قال : فيهم الرب سبحانه : **إنما يريد الله ليذهب عنكم أهل البيت ويظهركم تطهيرا.**

هذان المثالان طمأناني ، على مدى تمازج الشيعة بآل البيت (ع) وكان أهل البيت (ع) أيضاً موضع إتهام مع أشياءهم.

خرجت الى الساحة بقوة ، بعد أن تشبعت بكل المقومات السجالية والكلاميه ، وبعد إن وقفت على آخر تذرعات العامه ، وحصلت لى سجلات كثيره ، وجوارات طوال مع مختلف طبقاتهم ويعلم ان إنهم كانوا فى كل الأحوال ضعيفى الحجه ، سقيمها ، هزلى المنطق ، عليه ، لا يصمدون إمام إيسط مقوله عقلية فى الحوار ، كيف يراد لى أن أسلك مذهباً يقوم على الصنميه التاريخيه ، إننى أدركت منذ البدايه إننى لست على الإسلام كما كانوا يدعون ، وإنما على مذهب من الإسلام إسمه مذهب السنه والجماعه ، كيف يعقل أن تلغى المذاهب الأخرى ، ويبقى مذهب واحد مستبد بعقول الناس ، ولم تكن له : قدره على الإستمراره إلا لأنه بقى مذهباً رسمياً ، لكل الدول التى تعاقبت الخلافه فى مابعد!.

-

نلخص من هذه الرحله السريعه ، القاسيه ، فى رحاب المعتقد لنعلن أهميه الرجوع الى أصل المعتقدات لإعاده بناء القناعه ، على أسس علميه دقيقه ، بعيداً ، عن ذوى التقليد ، إننى لم أتذوق حلاوه العقيدة ، إلا فى ظل الجوله ، عندما أوقفنى البحث الطويل ، المضنى على عتبه آل البيت النبوى ، الذين ظلمهم التاريخ - الأموى - ووضع بدلاً عنهم ، نماذج وهميه ، كانت هى حقاً سبباً فى تشتت الدين ضمن مذاهب متفرقه ، ادخلت المسلمين فى فتن ضاربه.

ولما قادنى بحثى إلى الإمام الصادق (ع) شعرت بأننى كنت طيله حياتى مخدوعاً بعظماء وهميين ، إذ أن العملاق المجهول الذى كان معلماً لمئات من علماء هذه الأمه ، لم يوفه تاريخ الجماعه حقه ، بالرغم من أن الأئمه الأربعه أخذوا عنه ، لقد خرجت من الضيق وشدته الى سعه الحق وراحته ، ومن غبش المعانى الى الوضوح والجلاء.